

مذكرة "جون سميث":

مذكرتي العزيزة.. إنه يوم جديد من أيامي الرائعة.. مغامرة جديدة من مغامراتي التي ملأت صفحاتك.. لكن مغامرة اليوم فيها شيء محبب إلى نفسي.. اكتشاف عالم جديد.. فأنا اليوم أتحرك بسفينة كبيرة مع رفاقي ناحية الغرب.. إلى قارة بركرية.. ليس فيها دول.. ولا نزاعات.. أرض خصبة لكل من يريد أن ينشئ أي شيء.. سمعت أن من يسكن هذه القارة هنود حمر الأجساد يرتدون الريش على رؤوسهم.. وسمعت أنهم متوحشين ويكرهون الغرباء.. وأن الغريب القادم إليهم سينتهي به الأمر مطبوخاً في قدر من قدورهم وجماعة منهم يرقصون حوله في وحشية وتلذذ.

ها هي اليابسة تقترب.. وسفننا المتعبة من عبور المحيط تتمطى في إرهاق.. أشجار ونخيل وخضرة ورمال ذهبية وهواء عليل وهندي أحمر يحمل رمحا ويجري ناحية السفينة في جنون.. يا إلهي.. رمى علينا الهندي الغاضب رمحه رمية كأمر رمية رام.. وانغرس رمحه في قلب "كريس" الفتى المراهق الذي كان عقله مليء بقصص البحارة المغامرين وكان يحلم دوماً أن يكون واحدا منهم.. لكن الرمح قد انغرس في قلبه اليوم بطريقة قضت على كل القصص والمغامرات التي كان ينوي أن يخوضها.. قضت على كل شيء قبل أن يبدأ.. إن هؤلاء القوم أشد توخّشاً من نمور "أمور" المفترسة التي قابلتها في روسيا.. وكان "كريس" المسكين أول ضحية قتلوها.

هرب الهندي الأحمر بسرعة.. ولا ندري بصراحة هل هرب أم ذهب لينادي بقية أقرانه الخمر.. يبدو أن رحلتنا لن تكون سهلة أبداً.. حطت سفننا على اليابسة.. ونزلنا منها في بطءٍ خذر.. وبدأنا نجهز المعسكر بقلق وننقل أغراضنا من السفينة ونحن نتلفت يميناً ويساراً وتتحفز عند سماع أي صوت.. وها قد أتى الليل.. ولم تتعرض لأي هجوم ثانٍ.

مذكرة "بوكاهونتاس" :

"بوهاتان" هي مملكتي التي تضم بين أرجائها كل القرى الموالية لنا.. "ويرو-كوموكو" هي قريتي بين تلك القرى.. "وان - سينكا" هو أبي.. أحب الناس إلى قلبي.. وأنا "ماتواكا" الصغيرة ابنة العشرة سنوات وأحب الناس إلى قلب أبي.. واسمي يعني "زهرة بين مجريين" لأن قريتنا كانت تقع على مجرى نهريين.. واسمي الآخر هو "أمانوتي".. وأبي هو زعيم مملكة بوهاتان كلها.. لست ابنته الوحيدة.. فأبي له ما يقرب من الثلاثين بنتا.. نتيجة زواجه بما يقرب من الثلاثين زوجة.. لكن من بين كل هؤلاء كنت أنا الأقرب إلى قلبه.. وكنت كذلك فقط لأنني "بوكاهونتاس" ليس بسبب أي شيء آخر.

"بوكاهونتاس" هو أشهر أسمائي.. وهو اسم له معنى مثل كل أسمائنا.. ومعناه هو الفتاة الشقية.. وشقية يعني مريحة وروحها حلوة.. لماذا أنا الأحب إلى قلب والدي؟ لأنه لما تزوج ثلاثين مرة فعل ذلك بدافع من تقاليدنا التي تحتم على زعيم المملكة أن يتزوج فتاة من كل قرية وينجب منها.. فيدخل الدم الملكي إلى القرية فيكون هذا إعلانا من القرية بالولاء للملك.. ملك مملكة بوهاتان.. أما أمي فلم يتزوجها أبي بدافع سياسي.. بل كانت أول امرأة يتزوجها في حياته.. وأول امرأة يحبها في حياته.. وقد كان اسمها "بوكاهونتاس" أيضاً.. وقد تزوجها قبل حتى أن يصير ملكاً على بوهاتان.. وكنت أنا أول إنجاب لأبي.. ولقد ماتت أمي لما أنجبتني.. الأمر الذي أحزن والدي حزناً اسودت لأجله طيات روحه.. لكنه لم يلبث أن قرر أن يسميني "بوكاهونتاس" مثلما كانت أمي "بوكاهونتاس".. لأكون مولىً للسعادة التي ستأتي وتتزع حزنه الأسود من ثنایا روحه ليكون هباء تذرؤه الرياح.

أخبرنا "الكويكروز" أن هناك قوماً بيضا قد أتوا بسفنهم ضيوفاً على سواحل مملكتنا.. ونصحنا الكويكروز أن نتودد إليهم أيما تودد وتلطف وأن نريهم كيف

يكون حسن الضيافة لدى البوهاتان.. والكويكروز كما لابد أنك تعلم هم رجال الدين في بوهاتان.. وأصحاب الشورك.. وبالفعل لما وصل أولئك القوم يبض الوجوه إلى سواحلنا خرجت جماعات من أفضل رجال ونساء بوهاتان لاستقبالهم بموائد من أرقى طعام ويرو- كوموكو.. وقد فرحوا باستقبالنا أيما فرح.. وأعطونا الكثير من القطع النحاسية الثمينة.. فالتحاس في بوهاتان هو كالذهب في سائر بلدان العالم.. حقاً كانوا قومًا يبض لطفاء.

مذكرة "جون سميث":

مذكرتي العزيزة.. أربعة شهور مضت علينا ونحن في هذا المكان بنبي معسكرنا ونجهز عدتنا.. ونصد هجمات عنيفة كان يشنها علينا الهنود الحمر بين الفينة والأخرى.. حقاً إنهم متوحشون.. ليسوا فقط متوحشين.. بل هم أكلو لحوم بشر كما سمعت.. لقد حاولنا التودد إليهم أكثر من مرة.. وجل ما وصلنا إليه هو تجارة أجريناها مع بعضهم ممن أتونا في سلام.. نعطهم قطعاً نحاسية ويعطوننا طعاماً.. لكن مخزوننا من الطعام الذي جئنا به من إنجلترا كان قد نفذ تمامًا.. وقد نفذت منا كل القطع النحاسية التي أتينا بها.. وهؤلاء الهنود لا يعطون شيئاً بالمجان أبداً.. لذا قررت أن أصطحب أكثر رجالي قوة وتتوغل أكثر في هذه القرية.. علنا نحصل على شيء يصلح للأكل.

وبينما نحن نتفقد أرجاء تلك القرية الجميلة التي لا أصدق أن سكانها بهذا التوحش.. إذ رأينا مجموعة من هؤلاء المتوحشين أقوياء البنية يسرون بقارب على النهر يبض وينظرون إلينا في تحقّر.. وبدون أن أنتظر لحظة رفعت بندقيتي وصوتبتها إليهم عازماً على إزاحتهم عن طريقنا.. لكن أحدهم صرخ صرخة وحشية مدوية سمعنا على إثرها حفيف أشجار كانت حولنا.. أشجار برز منها عشرات منهم.. أسقط في يد رجالي واستداروا هاريين.. واستدرت مع رجالي عازماً على الهرب.. فلا قدرة لدي على مواجهة كل هذه المخلوقات المفترسة

التي ترتدي الريش.. هرب رجالي ولم أقدر أنا على الهرب.. لم أتخيل أن نهايتي ستصبح بهذه البشاعة على يد قوم حمر الوجوه يرتدون ريشا.. حاولت بكل مهارتي أن أهرب لكنهم حاصروني من كل مكان.. فرميت سلاحي ورفعت يدي.. وحاولت أن أتحدث معهم لكن سهما انفرز في كتفي كان أسرع من حديثي.. ثم أظلمت الدنيا في عيني.. وسقطت على الأرض.

مذكرة "بوكاهونتاس":

أربعة أشهر مرت على استضافتنا لهؤلاء القوم البيض في أرضنا.. وكان أحدهم رجلاً شديد الوسامة ذا شعر بني.. كان في نظرنا إلهًا من الآلهة.. يحمل في إحدى يديه سيفًا صارمًا وفي اليد الأخرى يحمل عصا الرعد.. عصا غريبة الشكل يوجهها على من يريد أن يقتله.. فيرتفع دوي الرعد المخيف ويموت الرجل.. كان رهيئًا هذا الرجل.. قتل بعض رجال البوهاتان بهذه الطريقة.. المشكلة أنه كان يدخل في بعض الأيام إلى بعض القرى التي أكرمت رجاله.. يدخلها دخول الصديق.. ثم يهدد زعيمها بعصا الرعد تلك حتى يعطيه ورجاله المزيد من الطعام.. كان يفعل هذا في الأيام التي لا يزورهم فيها أحد بطعام.. نحن أهل الكرم.. لكن من المستحيل أن تطعم أكثر من مئة رجل يوميًا لمدة أربعة أشهر.. كانت تمضي أيام لا نزورهم فيها بطعام.. عندها يجن جنونهم ويدور هذا الإله الوسيم بين أرجاء قرانا طلبًا للطعام.

لم يحب الكويكروز هذا أبدًا؛ لذا قرروا أن نأخذ هذا الإله ونستضيفه في ويرو-كوموكو.. فيحدثه أبي ويتفاوض معه على الكثير من الأمور.. وفي أحد الأيام خرج عمي "أوبي-شانكا".. أصغر أخ لأبي.. وكان قوي البنية فتيتًا.. باغتهم "أوبي-شانكا" عند النهر.. فهرب رفاق الإله الوسيم وبقى هو وحيدًا أسيرًا في يد "أوبي-شانكا" ورجاله.. كان الكويكروز يقولون إن هذا الرجل ليس إلهًا بل هو بشري عادي وعصا الرعد التي معه هذه ماهي إلا سلاح بشري مصنوع بمهارة.

زار "أوبي- شانكا" جميع القبائل بينما ذلك الرجل الوسيم مقيد وراءه.. فعل "أوبي- شانكا" ذلك حتى يقول لكل القبائل أن هذا الرجل ليس إلهاً.. والدليل أننا أسرناه وقيدناه.. بل إننا ذاهبون به إلى الملك "وان- سينكا" ليراه.. وبالطبع لم يمسسه أحد رجال البوهاتان بسوء مطلقاً سواء في عملية الأسر نفسها أو أثناء زيارة القرى.. هكذا كانت أخلاق البوهاتان العظيمة.

مذكرة "جون سميث":

انتفضت فجأة.. رأيت أربعة هنوداً خمرًا يحيطون بي ويمسكونني بسواعد قوية يجرونني جراً إلى مكان معين لا أدري ما هو.. فكرت في التملص منهم لكنني كنت داخل قريتهم المليئة بهنود خمر آخرين ينظرون لي في فضول.. مشينا حتى دخلوا بي إلى مبنى طويل غريب الشكل.. هناك رائحة غريبة في الجو.. وحديث بلغة متوحشة وأصوات رفيعة أسمعها كل حين.. كان يبدو أن هذا المبنى ذو أهمية كبيرة.. هؤلاء القوم بدايئون جداً في مبانيهم وديكوراتهم وملابسهم وتصرفاتهم.. وجدت نفسي أقف فجأة أمام رجل يختلف رتيه عن بقية أزيائهم.. وفوق رأسه عدد من الريش أكثر بكثير من البقية.. وقد دهن وجهه بألوان غريبة.. واضح أن هذا هو الزعيم.. وواضح أنه ليس سعيداً.. إن له ملامح لا أظنها قد عرفت كيف تتبسم.

قال لي بصوت خشن جداً كلاماً خشناً بلغة خشنة لا أدري كيف يفهمونها.. نظرت إليه بدهشة ورفعت كتفي في عدم فهم.. ويبدو أنه غضب جداً.. لكن ما كل هؤلاء الفتيات والفتية الصغار حوله.. قال شيئاً ما بغضب للرجال المحيطين بي.. فتحفزوا وأمسكوا بي بقسوة وأرقدوني على ظهري في منتصف هذه الغرفة الغريبة.. ثم أخرج أحدهم سيفاً طويلاً ونظر لي بغل.. وثبنتي رفاهه بغل أكبر.. وقع في قلبي الخوف.. هؤلاء كما هو واضح مقبلون بعد ثوانٍ على قطع رأسي بهذا السيف.. حاولت أن أتملص بكل قوتي لكن هيهات.. هناك ما يقرب

من عشرة أذرع تمسك بي في إحكام وترفع رأسي بطريقة تبدو معها رقبتني جاهدة لاستقبال نصل السيف.. صرخت وصرخت.. سمعت كثيرًا من الكلمات الهندية الغاضبة التي يبدو أنها آخر كلمات سأسمعها في حياتي الحافلة.. نظرت إلى السيف بخوف.. رفعه الرجل ذو اليدين القويتين والعينين المخيفتين.. وتأهب لينزل به على رأسي.. أغمضت عيني بقوة وصرخت صرخة طويلة.

زار أذني صوت يختلف عن نوعية الأصوات التي أسمعها حولي.. صوت أنثوي كان بعيدًا ثم اقترب حتى صار قريبًا جدًا.. ذراعان أنثويتان رقيقتان أحاطتا بي في رقة.. أنفاس أنثوية برقة الزهر شعرت بها على وجهي.. فتحت عينيَّ ببطءٍ مندهش.. رأيتهما.. وكأنما توقف وعيي عن الوعي بكل شيءٍ حولي.. وصارت كل صورة حولها مموهة وصورتها وحدها في عيني.. رأيتهما وهي تصرخ وتحيط بي وترفع يدها في وجه السيف وتضع وجهها أمام وجهي ورقبتها أمام رقبتني.. عطر أنثوي.. شعر طويل كأنه قطعة من ليل.. وعينان.. عينان ورمشان وشفقتان.. هل أنا في الجنة؟ يستحيل أن أكون لازلت في تلك القرية الهندية.. إنها تضع يديها على وجهي في رقة وتنظر إلى عيني في قلق ثم تنظر لهم في غضب.

"بوكاهونتاس" .. هذا هو اسمها.. فتاة شابة في الثامنة عشر.. فاتنة سمراء.. هي ابنة الملك الهندي الغاضب.. تدخلت لتحميني من قسوة أهلها.. وقد ذهل القوم بفعلتها هذه وتسمر الملك في مكانه وتحول غضبه إلى دهشة.. وقال لها كلامًا بلهجة متسائلة.. فردت عليه بصوتٍ ملائكي بكلمات تمنيت من حلاوتها ألا تنتهي.. خفض السيف سيفه.. وتراخت عضلات الرجال الممسكين بي.. وصمت الجميع.. وتكلمت "بوكاهونتاس".

مذكرة "بوكاهونتاس":

كنت جالسة بجوار أبي كالعادة.. حتى دخل علينا "أوبي- شانكا" ومعه الرجل الوسيم ينظر مندهشاً إلى ما حوله.. كان عمري عشرة سنوات وقتها.. كانت المرة الأولى التي أرى فيها شخصاً من عرق مختلف.. فكنت أنظر له في دهشة حقيقية.. قام أبي من مجلسه وحيّاه مبتسماً بتحية البوهاتان.. لم يفهم الرجل شيئاً بالطبع لكن كان هناك رجل من الكويكروز ترجم للوسيم التحية بلفته الإنجليزية.. أوما الوسيم برأسه محيياً ومدّ يده يصافح أبي.

كان أبي سياسياً رائعاً.. عاتبه في البداية على مافعله في بعض القرى طلباً للطعام.. وعرض عليه أن يعطيه البوهاتان أرضاً أفضل من الأرض التي بنوا عليها معسكراتهم.. أرض "كاباهوسيك".. فيها ماء عذب وماء مالح.. ومخرج يمكن أن يضعوا فيه سفنهم.. وعرض عليه أن يكونوا قرية تابعة للبوهاتان وموالية لهم.. وسيمدهم البوهاتان بالطعام ويساعدونهم في البناء ويزوجونهم أجمل فتيات البوهاتان.

أقام عندنا الرجل الوسيم الذي عرفت أن اسمه "جون سميث" أربعة أيام فقط.. أكرمناه فيها أيما كرم.. وكنت أقدم له الطعام بنفسني وألعب معه وأمدّ يدي لأشدّ شعره الذهبي كل حين.. علمني بعض الكلمات الإنجليزية وعلمته بعض كلمات من لغتنا.. لغة "أجونكو".. وافق "سميث" على التعاون معنا وعلى عرض أبي موافقة كاملة بدون شروط.. وطلب منه أبي أن يساعده ضد الإسبان المخزيين الذين يهاجمون مملكة بوهاتان كل فترة.. ووافق "سميث" ووعد أبي أن يكون هو والإنجليز تحت قيادته.

مذكرة "جون سميث":

بعد أن اعترضت "بوكاهونتاس" طريق السياف بهذا الشكل.. تبدلت معاملة القوم لي إلى النقيض.. يبدو أنها محبوبة جداً بين قومها.. أصبح الجميع

يعاملونني بلطفٍ وقَدِّموا لي الطعام والشراب.. إن طعامهم غريبٌ لكن مذاقه رائع.. شهر كامل أمضيته مع الهنود الحمر في قريتهم العجيبة.. كنت أود لو أخطف "بوكاهونتاس" الجميلة وأهرب بها من هذه الأرض إلى أرض ليس فيها سواي أنا وهي.

اتفق معي الملك الذي أصبحت أسميه "بالايتين" نسبة إلى "بوهاتان" على أن نكون موالين له وأن نوقف المناوشات المتكررة بيننا.. وقال إنه سيرسل لنا الطعام بشكل منتظم.. كان يجب أن أهادنه وأوافق.. فهو لا يعلم نية الإنجليز بعد.. إن نيتنا هي احتلال بلاده كاملة سواء رضي بهذا أم لم يرض.. هذه أرض راقية تستحق شعباً متحضراً راقياً.. ليس شعباً همجياً مثل شعبه.. إلا إذا رضوا أن يرتقوا فسيعيشون معنا في سلام.

بهذا عدت إلى المعسكر وفوجئ الرجال بعودتي.. لأنني عدت ومعني هنود كثيرون محملون بموائد الطعام.. أثناء وجودي في المعسكر كانت "بوكاهونتاس" تأتي كل ثلاثة أيام أو أقل لنمضي اليوم معاً على نهر يورك.. لقد أحببت "بوكاهونتاس" وأحبتي.. المشكلة أن أبوها الملك لا يقبل بالخضوع تحت لواء إنجلترا.. بل يريد أن تخضع إنجلترا تحت لوائه هو.. وكان هذا يعني صراعاً قريباً.. وقتلاً كثيراً لأهل "بوكاهونتاس".. هذا صعب على نفسي لكن مصلحة بلادي فوق شهوتي الشخصية.. هكذا تعلمت.. لكن القدر لم يمهلي لأشهد الحرب مع الجنود.. فوسط كل الترتيبات والتجهيزات التي كنا نقوم بها.. انفجرت ذخيرة من الذخائر في وجهي بالخطأ.

مذكرة "بوكاهونتاس":

فجأة مات "جون سميث".. قالوا لنا إنه مات وتم نقل جثته إلى إنجلترا.. بدأ أبي ينتظر أن يعرف القائد الجديد ليعقد معه نفس الاتفاق الذي عقده مع "جون

سميث".. لكن بعد موت "جون سميث" مباشرة بدأ الإنجليز في مهاجمتنا.. وتحولت المناوشات إلى حرب طاحنة مميتة قُتل فيها الكثير جدًا من أبناء البوهاتان.. كانت الأسلحة التي يستخدمها الإنجليز فتاكة تبدو أسلحة البوهاتان بالنسبة لها دُمى أطفال.. وقد احتاج البوهاتان وقتًا طويلًا جدًا ليطوروا طرقًا لمقاومة هذه الأسلحة.. ظلت الحرب مشتعلة ما يقرب من الأربعة سنوات.. دقنا فيها طعم الجحيم الحقيقي.. كان الإنجليز قومًا شديدي القسوة يقتلون بالجملة ويستخدمون أشد الأساليب حقارة وينقضون كل العهود..

بقي الطرفان يتصارعان حتى أتى ذلك اليوم الذي ذهبت فيه بأمر من أبي إلى قرية "باتاوميكس".. وهي قرية من القرى التي لم تكن موالية للملك.. كنت ذاهبة هناك في مناسبة اجتماعية مهمة.. ولما وصلت هناك نصبوا لي فخًا وخدعوني وقبضوا عليّ.. كان الباتاوميكس هم من نصب لي الفخ.. عرفت أنهم موالون للإنجليز ضد أبي.. شعرت بغصة في حلقي.. إنهم يودون استخدامي للضغط على أبي.. الموت أهون علي من أكون سبيًا في هزيمة أهلي في هذه الحرب.

كنت محبوسة في سفينة من سفنهم الكبيرة في غرفة ضيقة.. وحالتي سيئة جدًا بسبب اهتزاز السفينة المستمر أثناء وقوفها في الماء.. أفرغ ما في جوفي كل يوم وأدوخ وأفقد الوعي وهؤلاء لا يفهمون أنني أود الانتقال بعيدا عن السفينة ويظنون أن ما بي هو بسبب الاكتئاب والخوف.. خستمت جميعًا.. ليست "بوكاهوتاس" من النساء اللاتي يخفن أو يضعفن بسبب الأسر.. الأمر فقط دوّار البحر.

وفي ظلمة الليل.. بين هزة للسفينة وهزة.. انفتح باب غرفتي الضيقة.. ودخل كيان لم أتبينه جيدًا.. لكنه كان رجلًا ضخمًا بالتأكيد.. وقف على الباب قليلًا كالصنم.. كان يدخن.. أعطاه الظلام والدخان المتصاعد منظرًا مُقبضًا.. تقدّم

مني الرجل وسألني بالإنجليزية سؤالاً لم أفهم منه شيئاً.. ثم تقدم أكثر وامتدت يده لتتحسس عنقي.. كنت مقيدة لكني رفعت ركبتي وطلعت به في بطني فانقبض متألماً وصاح بكلمات غاضبة.. ثم بدأت المأساة.. جن جنون الرجل وأمسك بي وفعل كل ما يمكن أن يفعله ذئب بفتاة جميلة مقيدة.. ثم قام عني وقال بضع كلمات.. وعدل ملابسه وانصرف.. تاركاً إياي أتجرع دماء عذريتي وأتجرع معها دموعي.. هنا.. في هذه الليلة.. وفي هذه الغرفة الحقيرة.. فقدت أنا "بوكاهونتاس" ابنة الملك.. أغلى حلم من أحلام الفتيات.. سرقة مني حيوان.. فقدت عذريتي.. لم أعد أصلح لشيء.. ليتني مت قبل هذا.. ولولا أنني مقيدة بهذه الحبال لرميت نفسي في اليم.

مذكرة "جون سميث" :

انفجرت في وجهي ذخيرة من الذخائر عن طريق الخطأ.. أصبت بحروق كثيرة لكنني لم أمت.. وغادرت إلى إنجلترا للعلاج.. وقال الإنجليز للهنود الحمر إن "جون سميث" قد مات.. في محاولة منهم للتخلص من المعاهدة التي عاهدتهم إياها.. مرَّ شهر أو شهران ولم يستطع قومي الاحتمال أكثر.. وبدأوا الهجوم بضراوة.. كنا دائماً نتصر لأن تسليحنا يفوقهم وإن كان عددهم يفوقنا.. استمرت الحرب بيننا وبينهم سنين طويلة.. حتى أسر الإنجليز "بوكاهونتاس" أثناء إحدى الحملات.. كانوا يعرفون مدى تعلُّق والدها بها لذا اختطفوها كوسيلة للضغط عليه.. وكوسيلة حماية.. فليس مجنوناً لعمل أي هجوم وأغلى ما يملك بين أيدينا.. طلبنا منه فدية كبيرة تعجزية لكنه لم يدفعها كاملة.. ولهذا أبقينا "بوكاهونتاس" الجميلة عندنا.

أثناء وجود "بوكاهونتاس" في الأسر بدأت بذرة إعجابها بحضارتنا تتكون وتكبر.. منذ علاقتي بها وهي تعشق حضارتنا وقد لمست فيها حب الحضارة وكرامية التخلف والهمجية التي تراها في قومها.. وبدأت هذه البذرة تنمو أثناء

أسرها خاصة مع التعامل الراقى الإنجليزي الذي كنا نعاملها به.. حتى إنها اقتنعت بالمسيحية وتحولت إليها.. وتم عمل طقوس تعמיד لها وتغيير اسمها إلى "ريبيكا".. سمينها بهذا الاسم تيمنا بريبيكا المذكورة في التوراة أم "يعقوب" و"عيسيو".. فكل واحد من "يعقوب" و"عيسيو" انحدرت منه أمة.. فكانت ريبيكا أما لأمتين.. وكانت "بوكاهونتاس" تمثل اللقاء أمتين.. أمة الإنجليز وأمة الهنود الحمر.

تطور حبها لحضارتنا إلى كره لحضارتها.. حتى إننا أثناء أسرها سمحنا لها بمقابلة وفد من قومها كان أبوها وسطهم.. فلما رأتهم صرخت في والدها وقالت له إنها تكرهه لأنه اتضح لها أنها أرخص عنده من سيوف قديمة وقطع من فؤوس.. وتقصد الفدية التي طلبناها والتي كانت تشمل أسلحة قومها.

تقدم للزواج ببوكاهونتاس واحد من أكبر تجار إنجلترا هو "جون رولف".. وقبلت الزواج بسعادة بالغة.. وكان هذا الزواج إعلاناً للسلام بين الأمتين بعد طول حرب فكانت حقاً أما لأمتين.. سافرت "بوكاهونتاس" مع "رولف" إلى إنجلترا.. وقُدمت إلى المجتمع الإنجليزي باعتبارها حمالة السلام بين أمتين عظيمتين.. لكن المشكلة أنني أنا أيضاً كنت في إنجلترا.. وقد رأيتي "بوكاهونتاس" صدفة فجأة أمامها.

مذكرة "بوكاهونتاس" :

كرهت نفسي.. أنا سبب هزيمة قومي.. أنا بلا شرف.. بلا قيمة ولا وزن.. لست أعلم من هو الذي اغتصبني حتى الآن.. لكن في اليوم التالي جاعني رجل يبدو ثرياً اسمه "جون رولف".. وعرض عليّ الزواج مقابل أن تنتهي الحرب بين قومه وقومي.. وفي غمرة ألمي وحيرتي وجدتها فرصة لإصلاح كل شيء.. فشعوري بأنني سبب مأساة قومي سينتهي بهذا الزواج الذي سأحقن به دماءهم الغالية..

وشرفي الذي أضاعه حيوان يمكن أن يجبره الزواج.. وإن كان زواجا من أناس لم أكرهه في حياتي مثلما كرهتهم بكل حذقتهم وتنطعهم وقسوتهم وخداعهم.. إلا أنني كنت مضطرة.. من أجل قومي.

وحتى يتم الزواج قالوا لي إنه يجب أن أدخل في المسيحية وأتخذ لنفسني اسماً جديداً هو "رييكا".. وافقت على كل هذا بلا شروط.. وتم زواجي إلى ذلك الرجل الغني وتوقفت بالفعل حرب دامت سنين طوال كان قومي فيها هم الضحية دائماً.. وسافرت مع "رولف" إلى إنجلترا.. وهناك عرفت أن زواجي لم يكن بدافع السلام كما يحاولون أن يُظهروا لقومهم في إنجلترا.. لقد كان دعاية.. دعاية لمستعمرتهم التي بنوها في أرضي.. والتي سموها مستعمرة "فيرجينيا".. كانوا يريدون للعالم أن يرى كيف أن الأوضاع في القارة الجديدة التي ذهبوا لاستعمارها أوضاع رائعة وأن أهل القارة الجديدة أحبوهم والدليل هو الأميرة "بوكاهونتاس" ابنة الملك الهندي الأحمر.

أثناء وجودي في إنجلترا عرفت أن "جون سميث" ذلك المخادع الكبير لم يمت.. وإنما قالوا لنا ذلك لأنه كان قد عقد اتفاقاً مع أبي لم يكن ينوي هو وقومه الالتزام به.. بل إنني قابلت "جون سميث" بالصدفة ذات يوم وقلت له في وجهه إنه مخادع كبير.. وأنتي كنت أظنه رجلاً صالحاً كما ظنه قومي.. لكنه في الحقيقة ليس سوى مستعمر دموي قذر.. وبدأ صوتي يعلو في مواجهة كل هذا الخداع الذي يجبروننا أن نعيش فيه.. ودخلت في صراعات عديدة مع "جون رولف" وبدأت أرفض بشدة حضور الاجتماعات والمناسبات التي كانوا يجبروني على حضورها.. حتى لم يعد أمام "جون رولف" إلا حل واحد لا ثاني له.

ذات يوم بعد شربة من ماء.. شعرت أن الدنيا تدور حولي.. وتدور بداخل رأسي.. ووهن جسدي على وهنه وسقطت على الأرض.. أدركت أن "رولف" قد دس لي السم في شربة الماء.. أدركت أنهم أرادوا أن يرتاحوا من إزعاجي ويحافظوا

على الصورة التي صوروها للعالم عني.. الفتاة التي تكره قومها الهمج وتحب إنجلترا وتدعو الإنجليز للقدوم إلى أرضها واحتلالها لنشر حضارتهم فيها.. هذا ما أرادوا للعالم أن يصدق.. وقد صدقهم العالم ولا زال يصدقهم وسيظل يصدقهم حتى النهاية.. أما البوهاتان.. وحضارة البوهاتان العظيمة.. ودماء البوهاتان الغالية التي سالت على أرضنا أنهاراً.. فلا أحد يكثر ث بها.. فماذا تعني هذه الدماء مقارنة بالدماء الملكية الإنجليزية.. لا شيء.

تمت
